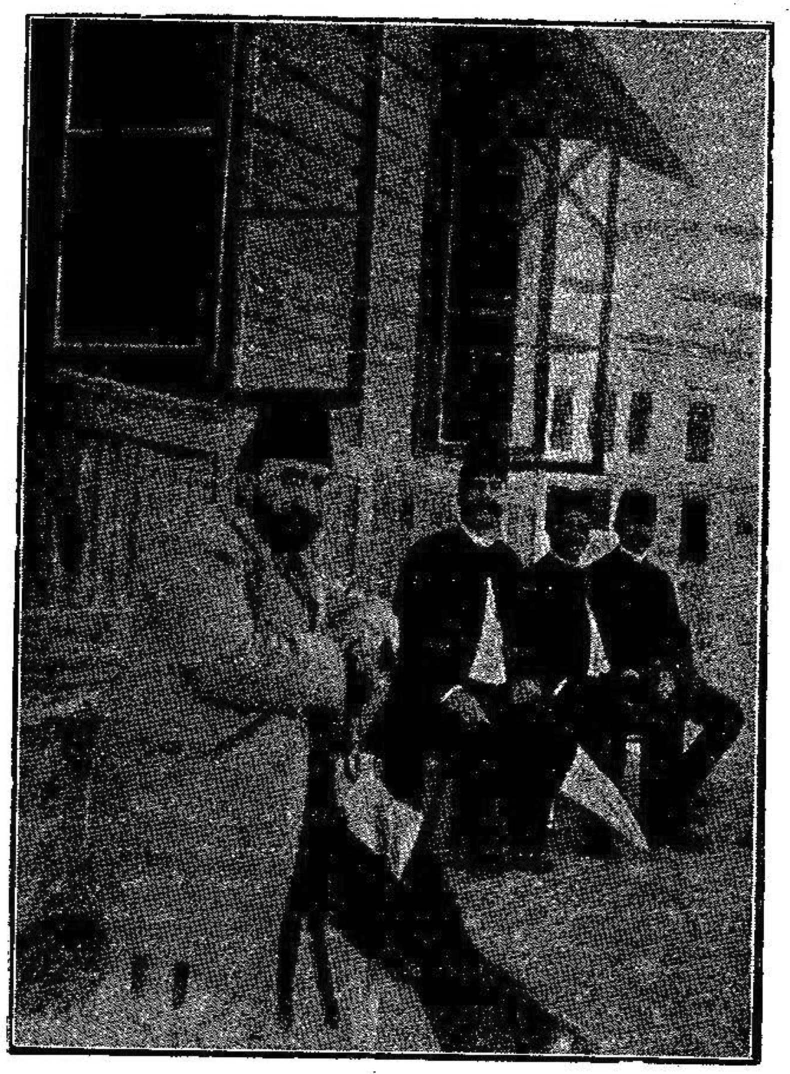
الفصل الرابع

الخديو توفيق(١)

من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٩٢

ولاية توفيق . سفر اسماعيل . النظارة الجديدة . سراى عابدين . جوارى اسماعيل . حديث الخديو مع مراسل التيمس ورأيه فى رياض ونوبار . فرمان التولية . الانقلاب النظارى . تأخر الخديو عن السفر للاستانة . مهمة سرية . رحلات الخديو فى انحاء القطر . مسجد الغريب بالسويس . المدرسة العلية . المراقبة الثنائية . الاصلاح المالى والادارى .



توفيق باشا وبجانبه شوقى باشا ناظر الخاصة وحسين فهمى باشا قومندان المحروسة

ولاية توفيق . فى يوم ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م وردت رسالة برقية من الباب العالى منبئة بتولية صاحب الدولة محمد توفيق باشا ، ولى عهد اسماعيل على الأريكة الخديوية

(١) جرينا فى الملازم الاربع الماضية على كتابة (خديوى) بالياء سهوا والأصح كتابتها من غير ياء.

فصدرت الأوامر باتخاذ ما يجب للاحتفال بذلك . وفى ضحى اليوم التالى كان الطريق من سراى عابدين الى القلعة يموج بجموع حاشدة من الأهالى ، وقد اصطف الجند على جانبى الطريق . وبمجرد خروج سموه من السراى أطلقت المدافع مائة مرة ومرة ، وهتف الجميع بحياته . ثم سارت عربته وراء كوكبة من الفرسان ، وعلى يساره شقيقه البرنس حسين كامل باشا ، وأمامه أخوه الأصغر حسن باشا ، وبجانبه محمد شريف باشا رئيس النظار

ولما بلغ الموكب القلعة دخل سموه القاعة الكبرى فى السراى التى شيدها جده محمد على ؛ ثم جلس وعلى يساره الأميران حسين باشا وحسن باشا والنظار ، واستقبل فيها من توافد عليه من العلماء ، وفى مقدمتهم السيد على البكرى نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ثم القاضى ، ثم شيخ الجامع الأزهر ، ثم قناصل الدول ، وقدم أكبرهم سناً التهانى لسموه فرد عليهم شاكراً . ثم استقبل الذوات والتجار وغيرهم

وبعد انتهاء المراسيم المعتادة أطلقت المدافع مرة أخرى وعاد سموه الى عابدين ، والجماهير المحتشدة تصفق له وتحييه

وعقب ذلك أرسل سموه برقية شكر لجلالة السلطان على ثقته به ، وإسناد منصب الخديوية إليه

ثم توالت التهانى من مختلف الجهات ؛ وكان بين المهنئين جماعة المحفل الماسونى ، الذى أسسه السيد جمال الدين وانتمى إليه توفيق ، وبيت روتشيلد المالى الشهير

سفر الخديو اسماعيل . فى يوم ٣٠ يونيو غادر الخديو اسماعيل القاهرة الى الاسكندرية ليبحر منها الى إيطاليا . وفى ذلك اليوم المشهود هرع المودعون الى أبواب سراى عابدين حتى اذا كانت الساعة العاشرة والنصف ، خرج الخديو السابق ، وجلس الى يساره فى العربة الخديو توفيق ؛ وصدحت الموسيقى تودع الأمير الراحل عن الديار . وكان موكباً حافلا من السراى الى المحطة يحفه الفرسان والجماهير المتدفقة

وفى المحطة عانق اسماعيل ولده عناق الوداع . وقال له ـ والعبرات تخنقه : « كنت أود يا أعز البنين ، لو استطعت أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن تسبب لك ارتباكا . على أنى واثق بحزمك وعزمك ، فأوصيك باخوتك وسائر الآل براً ، واتبع رأى ذوى شوراك ، وكن يابنى أسعد حالا من أبيك » !

والقى اسماعيل عصا الترحال فى ثغر نابولى ، من أعمال ايطاليا ، حيث كان ملكها

فكتور عمانويل قد أعد لسكناه قصر « لافافوريتا » رداً لمعروف صنعه معه من قبل

وكان يشاع ان الأمير حسين كامل يطمح أن يخلف أباه على الأريكة الخديوية ، نظراً لما كان يعتقد من أنه أحب الى والده من توفيق ، فضلاعن أنه لايفرق بين مولديهما غير بضع ساعات . ولكن اسماعيل نصح له بأن يخلص للخديو الجديد ، ويترك ذلك المطمح . فنزل عند نصحه ورافق الخديو فى حفلة توليته كما قدمنا

النظارة الجديدة . ولما تم احتفال التولية ، استقالت نظارة شريف باشا مراعاة للتقاليد ؛ ثم شكلت النظارة الجديدة برياسته مع اسناد نظارتى الخارجية والداخلية اليه



شريف باشا

وهذا هو نص الأمر الخديو بتشكيل النظارة ، أثبته هنا لما يحتويه من شرح لخطة توفيق فى معالجة المشاكل المصرية . وهو :

« عزيزى الرئيس »

« لقد استعفت النظارة ، فأكلفك بتشكيل نظارة جديدة . ولا أزيدك بحقيقة الحال علما.

« ولما قضت العناية الأزلية بتوليتى أمر بلادى ، جعلت علىَّ واجبات ليس من همى الا النهوض بها بأمانة وشهامة ، على علمى بمقدار صعوبتها ، وجسامة المطالب المتراكمة على، من الارتباك والفترة المالية التى انزعجت منها الخواطر . اذ وقفت حركة التجارة ؛ وأوجدت فتورا فى البلاد ، لم يقع فى مصر من قبل . على أنى عظيم الميل الى بلادى ، شديد الرغبة فى تحقيق آمال الأمة التى أظهرت سرورها بولايتى ، وفى اخراجها من هذه الحال السيئة

« ومع هذه العواطف فانى عازم عزماً أكيداً على بذل الجهد ، وصرف الهمة ، الى التماس أحسن الوسائل لأزالة هذا الاختلال المفسد لكثير من المصالح ، وذلك بتقرير

الاقتصاد الحق القانونى فى نفقات الحكومة ، ورعاية الأمانة ، والاستقامة فى الخدم العمومية ، واصلاح شئون الهيئة القضائية ، والهيئة الادارية »

ويعرب الخديو بعد ذلك عن ثقته فى معاونة النظار له فى القيام بهذه الشئون ولعل ألفاظ هذا الخطاب يشف مغزاها عن سوء الادارة ، وفساد الحكم فى هذه الآونة

سراى عابدين . واتخذ توفيق باشا كوالده قصر عابدين مقرا رسميا . وكان الجناح الشرقى الجنوبى من القصر مخصصا ، أيام اسماعيل ، لسكنى صديقه اسماعيل باشا المفتش . وكان بين هذا القسم وبين السراى أبواب يدخل منها المفتش ويخرج . فأمر توفيق باشا ان يزال هذا القسم بالديناميت ، وأدخله ضمن الحديقة

جوارى اسماعيل . وقد ترك اسماعيل باشا فيما ترك عددا عظيما من الجوارى الشركسيات فاهتم الخديو توفيق بشأنهن ، ووكل الى طه باشا — ناظر الخاصة الخديوية — أمر تزويجهن مع صرف النفقات اللازمة لهن فى الزواج من الخاصة . وكنت من بين الذين يشتغلون باداء هـذه المهمة ؛ وزوجت الكثيرات منهن ، فجهزتهن وأقمت لهن الأفراح

وفى ذات يوم قال لى طه باشا : — « لقد جاء دورك أنت أيضاً يا شفيق افندى فان الخديو اختار لك فتاة شركسية جميلة لتتزوجها » . فدهشت لهذه المفاجأة ، لأنى كنت صغير السن ولم افكر فى الزواج بعد . واستشرت والدى فى الأمر ، فنصحنى بتحقيق رغبة الخديو ، إذ هو ولى نعمتى ، والمتفضل بتربيتى وتعليمى . فتزوجت بالفتاة التى اختيرت لى (١)

حديث الخديو مع مراسل التيمس ورأيه فى رياض ونوبار . كان نوبار باشا ورياض باشا من المغضوب عليهم فى عهد اسماعيل ، لسخطه على الأول فى نظارته المختلطة ، وغضبه على الثانى لشدة تمسكه باظهار الحقائق فى لجنة التحقيق تحت رياسة ريفرس ويلسن ، التى كان وكيلها . فسافر الى اوربا يومئذ كما ذكرنا . ولما تولى الخديو توفيق ذاعت الاشاعات فى مختلف الأوساط بأن الحكومة الخديوية لا تمانع بعد فى عودتهما . وقد قابل مراسل التيمس سموه وتحادث معه فى هذا الشأن ، وفى الخطة التى ينوى اتباعها فى مصر ، فأجابه عن المسألة الأولى : بأنه لا يرى مانعاً من عودة

---

(١) وقد توفيت بعد ثلاث سنوات وتوفى عقبها كذلك .

رياض باشا فى أى وقت يشاء . وأما نوبار باشا فمراعاة للحالة السياسية يستحسن أن يبقى مؤقتاً فى الخارج على أسف منه

وأجابه عن المسألة الثانية بما ملخصه : ان سموه لايرغب فى عودة النظار الأجانب . وأنه معتزم السير فى الاصلاح بأمانة واخلاص ؛ فى جو خال من الدسائس ؛ وأن أوربا يجب عليها أن تعطى مصر الوقت الكافى لبيان خبرتها ، وحسن ادارتها ؛ وأن لا مانع مع ذلك من استخدام الأوربيين ، كمرشدين لا مسيطرين ؛ وكان مما قاله للمراسل فى شأن رجوع الناظرين الأجنبيين : « ألا فلتقطع أسباب المخادعة والمناظرة والانتقام »

فرمان التولية . لبثنا ننتظر ورود الفرمان السلطانى بتولية الخديو فى هذه الأثناء فلم يرد ؛ وعلمت اذ ذاك أن الباب العالى يريد أن يسحب الامتيازات التى أعطيت لمصر فى فرمان سنة ١٨٧٣ فى مقابل موافقته للدول على عزل اسماعيل . ولكن الدول لم ترض عن هذه الخطة ، وعارضت الباب العالى . وأخيراً قر الرأى على تأييد الامتيازات السابقة ، ما عدا الاتفاقات التجارية ، فقد تحتم ان يخبر عنها الخديو الباب العالى . ومسألة حرية القروض التى أساء اسماعيل استعمالها

واستمر الجدل والمناقشة فى ذلك حتى يوم ٤ أغسطس ، حيث جاء فى تلغراف من لندن أن فؤاد بك ـ وهو من رجال المابين (المعية السلطانية) ـ سيسافر من الاستانة بعد يومين الى مصر حاملا لفرمان التولية

وفى يوم ١١ اغسطس سافر الخديو من الاسكندرية الى القاهرة مع النظار ، لاقامة حفلة الفرمان بالقلعة ، وبقى شريف باشا بالاسكندرية لاستقبال فؤاد بك .

وفى مساء اليوم نفسه وصل المندوب العثمانى الى الثغر ، ثم قام منها للقاهرة يصحبه شريف باشا . ولما وصل القطار الى محطة العاصمة اطلقت مدافع القدوم ، وسار المبعوث ورئيس النظار الى قصر النزهة بشبرا (وهو المدرسة التوفيقية الآن) وكان يطلق عليه اسم (المسافرخانة)

وفى صباح يوم ١٤ منه سار موكب الفرمان من قصر النزهة الى القلعة ، وكان قد سبقه الخديو اليها ، فتلا المندوب الفرمان وسط الموجودين ، ثم سلمه للخديو ، وعلى أثر ذلك انتقل سموه الى غرفة التشريفات يستقبل المهنئين من جميع الطبقات

وفى المساء حفلت المدينة بمظاهر الافراح والزينات

الانقلاب النظارى . فى مساء يوم ١٧ أغسطس استدعى الخديو النظار ورئيسهم ، وبعد الاجتماع بهم وانصرافهم قدمت النظارة استقالتها . وقد كثرت الأقاويل

حول هـذه الاستقالة الفجائية . ولـكن بواعثها الحقيقية لبثت سرا خفيا حتى علمنا من السراى أن الاستقالة كانت بسبب آراء شريف باشا الدستورية ، وتوسعه فى الأخـذ بمبدأ الشورى ، فقد قرر مجلس النظار فى احدى جلساته رفع مشروع لتأسيس حكومة دستورية شورية الى الخديو . على أن تستقيل النظارة اذا لم يقبل ما عرضته ، وتعاهد النظار فى هذه الحالة على ألا يدخل منهم أحد فى النظارة التى تخلفهم . ولـكن توفيق لم يوافق على المشروع بناء على نصائح حاشيته . فضلا على أنه كان يرى أنه ليس من السهل انتقال الشعب من حكومة فردية محضة إلى حكومة نيابية بحتة من غير تدرج

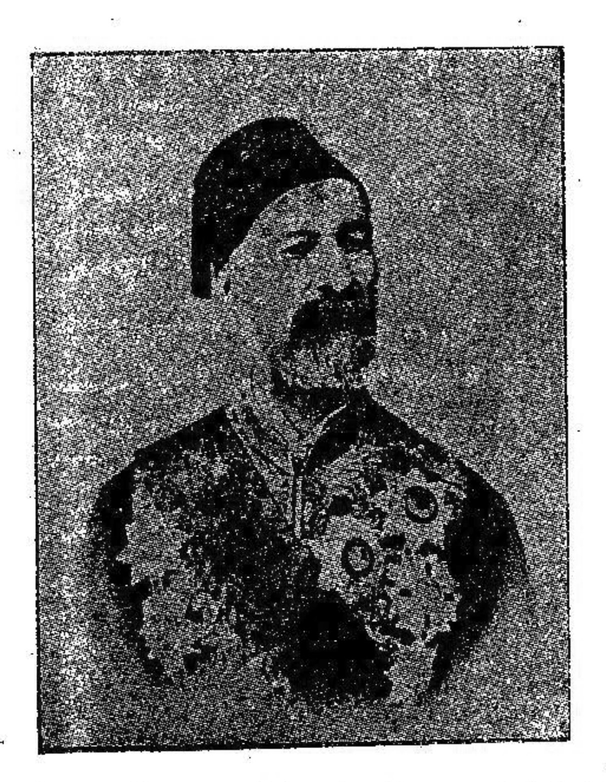
وفى اليوم التالى شكلت النظارة الجديدة ؛ وأرسل كتاب مستقل الى كل من أعضائها، اذ لم يكن لها رئيس ، بل جعلت رياستها للخديو نفسه . وكان هو الذى يرأس جلسات مجلس النظار . ولـكنى اطلعت على تلغراف فى هذه الأثناء أرسل لرياض باشا بالحضور الى مصر لاسناد الرياسة اليه ؛ وفعلا وصل الى مصر فى يوم ٣ سبتمبر ؛ ثم قابل الخديو عقب وصوله مباشرة ، مقابلة خاصة ، أبدى له فيها سموه رغبته فى تنصيبه رئيسا للنظار . فأجاب رياض باشا على هذه الرغبة بالشكر ؛ واستمهل سموه ريثما يفكر فى الأساسات التى تصلح قاعـدة للعهد الذى يستأنفه . وقد استمرت مبادلة الآراء فى الخطة الجديدة بينهما حتى استقر رأيهما عليها .

وفى يوم ٢١ سبتمبر كلف الخديو رياض باشا رسميا بتشكيل النظارة بعـد ان قدم النظار القائمون استقالتهم . واستهل الأمر الصادر اليه بتشكيلها بما يأتى :

« عزيزى رياض باشا »

« لم أقصد بترأسى مجلس النظار أن أعيد السطوة الشخصية . وإنما راعيت فى ذلك ضرورة الحـال ، وملت مع الرغبة فى تقريب علاقاتى بأعضاء النظارة . فلم يكن فى خاطرى عزم نهائى ، خصوصاً فيما يغاير المبدأ الذى اتخذته يوم ولايتى ، وهو أن أحكم مع مجلس النظار ، وبمجلس النظار »

وحفظ الخـديو لنفسه الحق فى تولى رياسة المجلس إذا أراد .



رياض باشا

وأوصى رياض باشا بانتقاء رفقائه النظار وبأن يعمل المجلس بنصوص الأمر المؤرخ فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ (١) وبأن يكون تعيين وفصل كبار المأمورين من وكلاء نظارات ومديريين ومحافظين وغيرهم بقرار من النظارة . وأشار بضرورة تقرير ميزانية الايرادات والمصروفات السنوية على الوجه النظامى وختم كلامه بقوله « وبالنظر إلى حسن اختبارك وحبك الوطنى لا تهمل شيئاً مما يعود على أحوال البلاد بالرفاهية وبالاصلاح الحقيقى الذى نتمناه جميعاً »

وقد رد رياض باشا على سموه بالخطاب الآتى :

« لقد تفضلتم على بتكليفى بتشكيل نظارة جديدة ، وانى لأشكر الجناب العالى على وثوقه بى ثقة تامة ، أعلم قدرها ، وانى لأشكر أيضاً مولاى الكريم حيث تكرم على بالاعتماد بسبب اخلاصى للوطن العزيز ، وإدارته ؛ وغاية آمالى تحقيق المقاصد الكريمة ، التى أبداها سيدى بهذه المناسبة ؛ ويلزمنى أن أساعد على قدر امكانى بالاتحاد فى ذلك مع رفقائى الموافقين على مثل هذه المقاصد لانفاذ الآراء المستدعية للسعادة والتقدم ، التى جعلتها الحضرة الخديوية أساساً لحكومتها ، وعدتها أعظم وسيلة للتوصل إلى إصلاح حال القطر المصرى ؛ ولهذا الفكر الصائب بذلت همتى فى أداء ما دعيت إليه ؛ ولأجل تشكيل النظارة الجديدة أعرض على سدتكم السنية التوجهات الآتية . . . الخ »

وكان تأليف النظارة على الوجه الآتى :

رياض باشا	للرياسة والداخلية اصالة وللمالية مؤقتاً
مصطفى فهمى باشا	للخارجية
على مبارك باشا	للأشغال العمومية
عثمان رفقى باشا	للجهادية والبحرية
فخرى باشا	للحقانية
على ابراهيم باشا	للمعارف
محمود سامى باشا	للاوقاف

وبعد أن تم تشكيلها حسب المعتاد ، أرسل ناظر الخارجية كتاباً الى قناصل الدول الجنرالية بتأليفها

(١) وهو الأمر الذى يحدد برنامج الوزارة ويشير الى اتخاذ سلطة يكون لها ادارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة من مجلس النظار وأن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا

تأخر الخديو عن السفر للاستانة . وكان الخديو قد تأخر عن السفر للاستانة عقب صدور فرمان التولية ، اتباعاً للرسوم المألوفة حتى يوم ١٥ أكتوبر ، وذلك بسبب سوء الحالة المالية ، فبعث يطلب رأي الباب العالى فى هذا الشأن ، فجاءت الاجابة باعفاء سموه من مبارحة القطر المصرى نظراً لهذه الظروف

مهمة سرية . وفى ١٧ نوفمبر عهد الىّ سموه فى مهمة الى الخارج ، خلاصتها أن أسافر الى نابولى بايطاليا لأتأكد من نزول والده بها ، وملاحظة علائقه بمن هنالك. وكان يجول بخاطره شيء من الشك فى أن اسماعيل قد تحفزه الرغبة فى استعادة ملكه الضائع ، الى الاستعانة بأصحاب النفوذ العالى فى ايطاليا على ذلك . وقد اختارنى لهذه المهمة، نظراً لصغر سنى فلا ألفت أحداً بسفرى الى إيطاليا

وكان قد حذرنى بعض أصدقائى قبل السفر من النشالين فى نابولى لكثرتهم هنالك ، وبراعتهم فى النشل . فلما نزلت من الباخرة وذهبت بحقيبتى الى الجمرك ، للتفتيش كالعادة المتبعة ، وانتهيت من ذلك ، ألفيت بجانبى فتاة تبيع الزهر ، وهى تبسم لى ، فلم أفهم ابتسامتها حتى تنبهت بعد لحظة الى أنها وضعت وردة فى عروة معطفى بخفة . فساورنى الريب فى أمرها ، وذكرت نصح الأصدقاء . ولكنى كنت قد احتطت فأوثقت أزرار معطفى ؛ وقد أعطيتها ربع فرنك .

وبعد خروجى من الجمرك توجهت أولا الى فندق « رويال » للاستراحة ؛ ثم قصدت قصر « لافافوريتا » الذى يقيم به اسماعيل ، وتأكدت من وجوده فيه ، ومن انضمام فائقه خانم افندى الى حاشيته — وكانت قد حضرت على الباخرة التى أقلتنى — وكانت أول سفرة لى الى الخارج . وقد أقمت فى نابلى بضعة أيام تحريت فيها ما جئت لأجله ، فعلمت ان الخديو السابق من وقت وصوله للان ، لم يسمع عنه أنه على اتصال بأشخاص مما يثير شكا ، أو يبعث ريبة .

وبعد انتهاء مهمتى عدت عن طريق برنديزى . وقد استغرقت سياحتى هذه ثمانية عشر يوما فقط .

رحلات الخديو فى أنحاء القطر . كان توفيق كثير الحب لرعيته ، والعطف على شعبه ، والرغبة فى الاطلاع على شئون الأمة ، والوقوف على حالتها ؛ وكانت رحلاته وزياراته المتعددة للأقاليم ؛ مما يعبر عن هذه العواطف ويؤيدها

فى الفيوم . فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٠ اعتزم زيارة الفيوم ، فركب القطار من محطة بولاق الدكرور وبصحبته بعض رجال معيته — وكنت بينهم — إذ كان صدر الأمر بتعيينى فى المعية ابتداء من أول هذا الشهر

وسار القطار بين صفين من الجماهير التى احتشدت فى الطريق ، وهى تحمل الدفوف والأعلام ، وتلوح بها . وعند (العياط) وقف قليلا ثم وقف فى (الواسطى) حيث كان العربان على خيولهم يطلقون بنادقهم فى الهواء ابتهاجا وسروراً

ولما وصلنا الى الفيوم هرع الكبراء لاستقبال الخديو فى المحطة ؛ وأطلقت المدافع ايذانا بتشريفه ؛ وصدحت الموسيقى ؛ وأدت الجند التحية العسكرية

وركب سموه عربته الخاصة الى السرادق المعد لاستقباله . ولما استقر به المقام وفد قاضى المديرية ، ومفتيها وأعيانها ، للتشرف بلقائه ، فاغدق عليهم عطفه ، وأبدى فى محادثتهم ديمقراطية حقة

ثم طاف بعض شوارع المدينة ، فحيته الأهالى أحسن تحية ، وقابلت عطفه بالابتهاج والسرور . وبعد رجوعه الى السرادق ، دعا نحو سبعين من علية القوم ليتناولوا ، الطعام على مائدته ؛ ثم زار بعض السرادقات التى أقيمت احتفالا بمقدمه ، وقضى ليلته بديوان المديرية

وفى الصباح احتشدت الجموع لرؤيته . وعند الظهر أدى صلاة الجمعه بمسجد الروبى، وخلع على أمامه خلعة ، ووزع الصدقات على الفقراء

وبعد تناول الغداء ركب القطار الى « أبى كساه » وتفقد فيها معمل السكر ، ثم استأنف سفره الى نهاية الخط الحديدى بجهة الشيخ عبد القادر ، حيث كانت أخبار زيارته قد وصلت الى العربان ، فوقفوا ينتظرون قدومه فوق خيولهم . حتى اذا وصل ركب جواداً وقصد الى بركة قارون . وهناك قام العربان بألعاب مدهشة من الفروسية . ثم عاد سموه الى الفيوم مباشرة بطريق السكة الحديدية، وقضى بها ليلة أخرى بين مظاهر الحفاوة والابتهاج . وفى الصباح استقل القطار الى القاهرة فوصلها فى الساعة الحادية عشرة والنصف . وبذا انتهت رحلة الفيوم

فى الوجه القبلى . ولما عرف أهل الصعيد أن مديرية الفيوم قد حظيت بزيارة الخديو رغبوا فى مشاطرتهم هذا العطف ؛ وبعثوا برغباتهم هذه الى السراى ، فتقرر أن تجاب هذه الرغبة ؛ وأعد اليخت « فيض ظفر » لسموه و « زينة البحرين » للحاشية .

وسار اليختان بين تحيات الجموع على ضفاف النيل حتى الواسطى . وهناك استقبل سموه حكام المديرية وكبراؤها ؛ ودعا عدداً منهم لمائدته . ثم عاود سيره الى بنى سويف فاستقبل بما يعبر عن شعور صادق واغتباط كبير ؛ وألقى القمص جرجس رئيس دير « سدمنت » أمامه خطبة بليغة ، وتلاه آخرون معبرين عن شعورهم وشعور أهل المدينة نحوه . ثم قصد مسجد العجمى فأدى فريضة الجمعة ، ووزع الصدقات . وفى المساء شق المدينة فى موكبه ؛ وشاهد الزينات الحافلة ؛ وزار بعض البيوتات الكبيرة ، ومن بينها دار داود بك نامق؛ولبثت المدينة ساهرة مبتهجة . وفى الصباح غادرها اليخت بين مظاهر الوداع الحارة ؛ واستأنف سيره الى المنيا، غير أن السماء تلبدت بالغيوم بعد نصف ساعة وأظلم الجو ولم يعد للسير الهين سبيل . فألقى اليخت مراسيه بجوار قرية تسمى جزيرة « بياض » حتى ينجلى الضباب . وكانت هذه فرصة لأهلها وللعرب الضاربين بجوانبها فقدموا ليؤدوا صادق التحية

ولما صفا الجو استأنف اليخت سيره ؛ وقد سطعت الأنوار من مدينة المنيا على مسافات بعيدة ، حتى اذا وافاها الخديو قوبل كالعادة من الرجال الرسميين وغير الرسميين ؛ وزار منزل المدير ، ومنزل سلطان باشا ، وسر من وجود مكان الضيافة الدائمة بهذا المنزل ، ثم زار معمل السكر ، ومقام السيد الفولى . وعند الظهر دعا طائفة من الكبراء للغداء ؛ ثم قصد الى مشاهدة ألعاب الفروسية من العربان وقدم تلاميذ المدارس يرتلون أناشيدهم فى انتظام

وفى المساء أعدت مائدة أخرى لجماعة كبيرة من رؤساء الطبقات ؛ وقد ظلت المدينة ساهرة مبتهجة

وفى الصباح أقلع اليخت ميمماً شطر منفلوط فوصل إليها فى الساعة الحادية عشرة ، فاذا الجموع كعهدها فى الاحتفاء به ؛ ثم جرى الاستقبال بالمراسيم المعتادة ، وبعد ذلك سار الموكب بسموه فى أنحاء المدينة

وفى اليوم التالى تحرك اليخت الى أسيوط وأشرف عليها ، فاذا الجموع الزاخرة قد احتشدت على ضفة النيل لاستقباله ؛ وقصده الرؤساء من كل هيئة ؛ وحضر تلاميذ المدارس الأميرية والأمريكان والأقباط . ثم عمد عرب الهوارة الى خيولهم فأتوا على ظهورها بكل معجب من الألعاب

ثم ركب سموه عربة ، وفى صحبته المدير ، لمشاهدة المدينة وشق السوق المعروفة « بالقيسيرية » حيث كانت المتاجر الكبيرة قد فرشت أرضها بالبسط ؛ ثم زار مقام

جلال الدين السيوطى ونفح خدمه بالصدقات . وبعد عودته الى اليخت دعا سراة المدينة لمائدته ؛ ثم زار منزل المدير فى المساء

وفى اليوم التالى زار ديوان المديرية ؛ ودعا الى العشاء على ظهر اليخت جماعة كبيرة . ثم زار السيد محمد خشبه سر تجار أسيوط ، وآخرين من كبراء المدينة

وفى الصباح أقلع اليخت الى سوهاج فوصلها قبيل الظهر ؛ وكانت حفاوة بالغة فى الاستقبال

ثم ركب الخديو جواداً وطاف بسوق المدينة ، بعد أن صلى الجمعة بمسجد الأستاذ العارف بالله . ولما عاد الى اليخت نظمت الموائد التى دعى إليها سراة القوم ، وكبار موظفيها

وفى صباح اليوم التالى سافر الى جرجا فقضى بها ليلة ، ثم غادرها الى قنا ؛ ولقى فى طريقه الأمير أحمد بك كمال ابن عمه يرقب قدومه أمام ضيعته فى فرشوط ، فتناول عنده طعام الغداء ؛ ثم ركب ووراءه عربان الهوارة وكثير من أهالى قنا فشاهد الزينات البديعة ، وزار مقام الشيخ عبد الرحيم القنائى ، ووزع الصدقات

وفى الصباح هرعت لرؤيته جموع كثيرة ؛ ثم ركب « زينة البحرين » مع رجال معيته قاصداً دندرة على الشاطىء الغربى من النيل ، ومنها ركب العربة لمشاهدة الآثار القريبة ، وعاد إلى قنا . وبعد تناول طعام العشاء مع مدعويه طاف ببعض شوارع المدينة فأعجب بزينتها ، وزار منزل المدير

وفى اليوم التالى قصد اسنا ، فلقى كثيراً من الحفاوة ، وزار مقام الشيخ حسن الضوى ثم شاهد الآثار فى جهة « البربة »

وفى المساء طاف بانحاء المدينة . وقد باتت ليلتها ساهرة ترتل آى القرآن . ثم استأنف السير إلى الأقصر ، وبعد مشاهدة آثارها من الجهتين ، قصد اسوان فى اليوم التالى ، ومعه المدير فوصلها فى الساعة العاشرة ؛ وبعد الاستقبال ركب جواده فطاف المدينة واستقبله الأهالى بحماسة ؛ وكانت الزوارق الصغيره مزينة بأنواع الزينة ، تطوف حول الوابورات الخديوية وبحارتها يترنمون بالاناشيد المشجية ؛ ثم ركب زورقا لمشاهدة المقياس على الشاطىء الغربى ؛ وقصد الى شلالات اسوان ، فشاهد انحدار المياه منها ؛ وعاد بعدها إلى اليخت فاقبل عرب البشارين والعبابدة ولعبوا على خيولهم ألعاباً ساحرة . وفى الساعة الرابعة زار قصر أنس الوجود الأثرى ، ثم عاد إلى مقره عند الغروب فدعا إلى مائدته نحو الاربعين عيناً ، وباتت المدينة كأنها فى ليلة عيد

وفى بكرة الغد هبت المدينة تودع الزائر العظيم ؛ وعاد سموه شطر القاهرة فوصلها في يوم ٢٩ يناير

فى الوجه البحرى . ولم يمض شهر على هذه الرحلة ، حتى قام أهل الوجه البحرى يطلبون أن يكون لهم ما كان لأهل الوجه القبلى ويلحون فى الرجاء ، فلم يسع سموه غير النزول على هذه الرغبة

ففى يوم السبت ١٠ ابريل سنة ١٨٨٠ ركب الخديو اليخت « فيروز » من قصر النيل وأعدت للحاشية باخرة أخرى ، وتبع اليخت زوارق المودعين ، واصطفت الجماهير على الشاطئين ، يحملون الأعلام والموسيقى والطبول ، وعند القناطر وقفنا لتحية الجماهير، ومشاهدة الزينات قليلا ، ثم واصلنا سيرنا إلى بنها فاذا بها قد لبست حلة قشيبة من الزينات وغصت بالجماهير ، وجاء المستقبلون وعلى رأسهم المدير . ثم شاهد سموه بعض العاب الفروسية ؛ وأقيم الكثير من السرادقات الفخمة التى كانت الأنوار تنبعث منها مختلفة الألوان ؛ وبها كثير من أنواع اللهو ، وضروب التسلية ؛ وزار سموه سرادقات الكبراء ، فبالغوا فى الاحتفاء به

وقضينا هذه الليلة فى بنها ، وفى الصباح الباكر أقبل الناس للوداع وسار اليخت وحوله الجماهير الغفيرة على الشاطئين ، من بنها إلى ميت غمر، فوقف فيها على حين رست الباخرة التى تحمل رجال المعية فى زفتى . وبعد الاستقبال ذهب باليخت إلى مدينة زفتى فطاف شوارعها ، وزار بعض أعيانها ، وفيهم اسرة المصرى

وغادر زفتى الى سمنود ، والخيول على شاطىء النيل تلاحق اليخت ؛ ثم قصد من سمنود إلى المنصورة ؛ وهناك كان الساحل بين المدينتين ، قد زين بكل أنواع الزينة ، ورصف ، وغرست به الأشجار والزهور . وأقام سموه ثلاثة أيام يختلط فيها بالشعب ويتقبل تحياته ويزور سرادقات الكبراء

وبعد ذلك قصد إلى دمياط ؛ والجماهير على الشاطىء كالعادة ؛ وكلما مر ببلدة حياه أهلها ، حتى إذا وصل إليها احتفل الدمياطيون به أطيب احتفال. وكانت الزينات فيها بالغة حد الكمال. ثم دعا أعيان البلد ، ووجهاءها، وتجارها ، وقناصل الدول الأجنبية بها، إلى مائدته

ثم سافرنا إلى الزقازيق فى صباح اليوم التالى بطريق السكة الحديدية وعند قيام القطار أطلقت المدافع ، وحيته الجنود بالسلام الخديوى

وسار القطار بين جموع زاخرة ؛ وكان يقف قليلا عند كل محطة ليطل سموه على المستقبلين ، ويرد عليهم تحيتهم . وحينما وصل إلى محطة الزقازيق قابلته الجموع الحاشدة

بالتحية اللائقة؛ وركب سموه عربة، وبجانبه المدير، يحيط بها الفرسان، والمشاة من العربان وأهل البندر، والبلاد المجاورة؛ وبلغت الزينات غايتها فى كل شارع مر به الموكب. أما السرادقات التى أقيمت فشغلت نحو خمسين فدانا، وكانت تنبعث منها الأضواء المختلفة الألوان فطاف سموه المدينة، وزار من كبرائها أمين «باشا» الشمسى وسليمان «باشا» أباظه

وفى الغد سافرنا إلى طنطا؛ وكانت الزينات فيها كغيرها بهاء. وبعد رسوم الاستقبال حضرت الوفود لتحية سموه، من العلماء، والقضاة، والتجار. ثم صلى الجمعة بالمسجد الأحمدى ومدت الموائد، لقناصل الدول، وللاعيان، والأكابر. وقد زار بعض أكابرها وفيهم «السيد امام القصبى»

ثم ركب الى المحلة الكبرى ولقى فيها كل حفاوة. وبعد أن استراح بها رجع إلى طنطا؛ ومنها زار السنطة، ثم عاد إليها مرة أخرى، وزار دار المنشاوى بك، وكانت عربته تشق الجموع الزاخرة فى عناء شديد

وفى الصباح ركب إلى شبين الكوم؛ وقد زينت أحسن زينة، ونصبت بها السرادقات وخرج الاهلون لاستقبال الجناب العالى. وبعد أن استقر فى ديوان الحكومة وفدت الهيئات المختلفة لتحيته

ثم ركب فى اليوم التالى إلى بعض البلاد المجاورة. ثم إلى منوف، وعاد إلى شبين الكوم. ثم ركب منها إلى دمنهور فقوبل فى كل محطة مر بها، ولاسيما فى طنطا وكفر الزيات، بضروب بالغة من الاكرام والحفاوة، وكان الفرسان يسابقون القطار بخيولهم على طول الطريق حتى وصل إلى دمنهور. وقد أعد المدير ميدانا جميلا فى نحو أربعين فدانا. ولما ركب الجناب العالى من المحطة تبعه رتل كبير من العربات وكثير من المشاة حتى وصل الى ذلك الميدان. وهناك فى السرادق المعد لنزول سموه وفدت عليه الوفود المختلفة، وجاء طلبة المدارس بنظام جميل، وألقيت أمامه الخطب والقصائد، وزار بعد ذلك مقام (أبى الريش)

وفى المساء دعا الى المائدة الخديوية كثيراً من الأجانب والوطنيين. ثم زار بعض الكبراء، وصلى الجمعة فى اليوم التالى فى مسجد أبى الريش. ثم قصد إلى دسوق فالرحمانية فزار عند وصوله مقام الدسوقى، ومكث قليلا بالرحمانية. ثم عاد إلى دسوق فقضى بها ليلته ولما اسفر الصباح، يمم شطر رشيد، حيث هرع الى استقباله جميع أهلها من مختلف الطبقات

وفى يوم ٤ مايو سنة ١٨٨٠ عاد من رحلته إلى العاصمة مودعا فى كل محطة بمثل ما قوبل من الحفاوة

وقد استطاع أن يقف خلال رحلته على كثير من أحوال شعبه

لم يقع من الحوادث التى اتصلت بها شخصيا فى سنة ١٨٨٠ ما يستحق الذكر الا حادثتان .

الأولى : بناء جامع الغريب فى السويس ، على نفقة الخديو . والثانية تأسيسه مدرسة خاصة لتعليم نجليه الأميرين عباس حلمى ومحمد على .

مسجد الغريب بالسويس . فى ذات يوم من أيام سنة ١٨٨٠ سلمنى الخديو توفيق بيده مبلغ خمسمائة جنيه مصرى ذهبا ؛ وكلفنى بحملها الى السويس ، وتسليمها الى (باشمهندس) المبانى بها للقيام ببناء جامع الغريب بالسويس ، على نفقة سموه الخاصة . فسافرت اليها وقابلت (الباشمهندس) وسلمته المبلغ ، وقضيت ليلة فى ضيافته ، ثم عدت فى اليوم التالى الى القاهرة

وقد تم انشاء هذا المسجد واقيمت به صلاة الجمعة لأول مرة يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٠

ولبناء هذا المسجد على نفقة سموه مناسبة سمعتها من احد رجال الخاصة ، وهى ان سموه رأى فى منامه يوم كان وليا للعهد شيخا اسمه الغريب من السويس ، فنبأه بانه سيتولى حكم البلاد عما قريب ، وأوصاه أن يبنى فوق ضريحه جامعا .

فلما تحققت الرؤيا اعتزم سموه ـ وكان دينا كثير الاعتقاد ـ ان ينفذ ما اوصى به الشيخ فى منامه

المدرسة العلية . سبق ان ذكرنا حب الخديو للتعليم ، وكيف كان سموه ، وهو ولى للعهد ، يشجع التلاميذ ، ويشهد الامتحانات ، ويمنح الجوائز . ورأينا كيف انشأ مدرسة القبة ، وكيف كان يدفع من جيبه الخاص ، نفقات تعليم بعض التلاميذ فى المدارس الاميرية .

استمر سموه بعد ذلك مهتما بشئون التعليم ، وكثيرا ما كان يزور المدارس ؛ ويشجع على التحصيل والدرس .

ثم رأى أن ينشىء مدرسة خاصة لتعليم ولى عهده وشقيقه ــ وهو ما فعله بتأسيس

المدرسة العلية على نفقاته ـ وقد أعدت فى نفس الوقت لتعليم عدد من ابناء الأمراء والعظماء فى مصر، حتى يكون للاميرين وسط مدرسى يعيشان فيه عيشة مدرسية .

وفى أول يناير سنة ١٨٨١ افتتحت المدرسة العلية؛وكان موقعها جميلا ، حيث كانت تحد من الجهة الشرقية بباب التشريفات لسراى عابدين ؛ ومن الجهة البحرية بالميدان أمام القشلاق ؛ ومن الجهة القبلية بشارع « قوله » ؛ ومن الجهة الغربية بشارع المبدولى . وزينت المدرسة يوم الافتتاح بالاعلام على الابواب والنوافذ ؛ واصطفت امامها الجنود المشاة ؛ وصدحت موسيقى المعية فى حديقة المدرسة بالحانها المطربة ؛ واقبل التلاميذ المنتخبون ، وعددهم خمسون تلميذاً ، مع آبائهم واقاربهم ؛ ثم قدم رياض باشا وبقية النظار، واكتمل اجتماع الاساتذة والمعلمين والضباط الذين وقع عليهم الاختيار

وفى الساعة العاشرة حضر الاميران ، فقوبلا بالتحية الرسمية من الجنود ، وعزفت الموسيقى بالسلام ، ونحرت الذبائح عند قربهما من باب المدرسة . وفى الساعة الحادية عشرة شرف سمو الخديو فاستقبله النظار والعظماء ، وجلس فى المكان المعد له وجلس الاساتذة على اليمين ، والمدعوون على اليسار ، والتلاميذ امام سموه يتقدمهم الاميران . ثم صعد الشيخ محمد البسيونى معلم اللغة العربية على منصة الخطابة ، وألقى خطبة الافتتاح ، فهتف بعدها الجميع بحياة الخديو ؛ ثم قام رئيس النظار وألقى خطابا باللغة التركية ، ضمنه شكر سموه والدعاء له .

وعين عثمان بك صبرى ، الذى كان معاونا فى المعية ناظرا للمدرسة ؛ ومسيو مونتان السويسرى مديرا للتعليم ، ومدرسا للغة الفرنسية ، والمستر كوربيت مدرسا للغة الانجليزية وقد اصبح فيما بعد النائب العمومى للمحاكم الاهلية . وغيرهم من الاساتذة ؛ وانتدبت لتدريس الجغرافيا ، والخط الافرنجى ، علاوة على وظيفتى فى المعية

* * *

المراقبة الثنائية : فى أواخر سنة ١٨٧٥ وأوائل سنة ١٨٧٦ كانت مصر تقترض الأموال بفوائد فاحشة تبعث على الخراب ، وفى ٨ ابريل أعلن افلاس مصر بتوقف اسماعيل عن الدفع ، وحضر المستر كيف ليقدم تقرير عن حالة البلاد المالية وبعد أن أخذ كل الاستعلامات عاد لانجلترا

وفى ٢ مايو سنة ١٨٧٦ صدر ديكرتو بتشكيل صندوق الدين العمومى وبتعيين أعضاء أجانب فيه يمثلون حاملى الأسهم ، وفى ٧ منه صدر ديكريتو آخر بتوحيد ديون

مصر التى بلغت يومئذ واحداً وتسعين مليوناً من الجنيهات ، وعين الموسيو دوبلنيير والهر فون كريمر المستشرق النمسوى والموسيو برافللى أعضاء فى صندوق الدين من قبل حكومات فرنسا والنمسا وإيطاليا . أما الحكومة الانجليزية فلم توافق على توحيد الديون ورفضت تعيين مندوب من قبلها . ونظراً للاستياء الشديد الذى أحدثه النظام الجديد عند حاملى السندات من الانجليز ، فقد حضر المستر غوشن مندوباً عنهم إلى مصر بقصد الحصول على بعض تعديلات فى هــذا النظام وحضر معه الموسيو جوبير مندوباً من قبل الدائنين الفرنسيين ، وبعد مفاوضات بينهما وبين الحكومة المصرية اتفقت الكلمة على إدخال بعض التعديلات فى النظام المتعلق بالديون وفوائدها وعلى أن يعين مراقبان لدخل الحكومة المصرية وخرجها ، أحدهما انجليزى والآخر فرنسى هما المستر رومين والبارون دومالاريه ، وعينا بعد ذلك بدكريتو فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ وسمى هذا النظام بالمراقبة الثنائية .

ثم صدر قرار بتشكيل قومسيون للسكك الحديدية وميناء الاسكندرية وبتخصيص إيراداتهما لدفع فوائد الدين الممتاز ، وكان ذلك القومسيون مؤلفاً من اثنين من الانجليز منهما الرئيس وواحد من الفرنسيين واثنين من المصريين (وقد عدل هــذا النظام فيما يختص بعدد الأعضاء بعد ذلك)

وأرسل وزير الخارجية الانجليزية إلى قنصل جنرال انجلترا بمصر أن يبلغ الخديو « ان الحكومة الانجليزية لا يمكنها أن تأخذ على عاتقها مسئولية هــذه التعيينات ومع ذلك لا تعارض فيها ، وعندئذ عين السير أفلن بارنج عضواً فى صندوق الدين

ولما اشتدت الأزمة المالية رغم التنظيمات السابقة الذكر قبل اسماعيل تشكيل « لجنة التحقيق » للقيام ببحث نهائى عن حالة مصر المالية فى ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ ، ولما تشكلت نظارة نوبار باشا المختلطة فى السنة المذكورة وعين فيها السير ريفرس ولسن الانجليزى ناظرا للمالية والمسيو دوبلنيير الفرنسى ناظراً للأشغال فوقف عمل المراقبة الثنائية . وقد عرفنا من قبل ما وقع لهذه النظارة من الثورة عليها

وفى ١٩ فبراير سنة ١٨٧٩ استقال نوبار باشا ، وعين الأمير توفيق رئيساً لمجلس النظار ودخل فى نظارته فيها الناظران الأجنبيان . وفى ١٠ ابريل من السنة المذكورة تشكلت النظارة برياسة شريف باشا ولم يدخل فيها هذان الناظران ، وبعد تنازل الخديو اسماعيل وتولى ابنه توفيق كتب شريف باشا رئيس النظارة إلى معتمدى انجلترا وفرنسا بأنه يأمل ، فى حالة تعيين المراقبين العامين ، أن يكون تعيينهما طبقاً للدكريتو الصادر فى ١٨

نوفمبر سنة ١٨٧٦، وألا يعزلا إلا بعد موافقة حكومتيهما، وأن تكون أعمالهما منحصرة فى البحث والتنقيب دون التدخل فى الأعمال الادارية أو التنفيذية. فاختارت الحكومة الانجليزية السير افلن بارنج، والحكومة الفرنسية المسيو دوبلنيير وصدر الامر بتعيينهما فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩



افلن بارنج (اللورد كرومر) — المسيو دوبلنيير

ولما اتضح للحكومة فيما بعد الأثر الطيب لمجهودات المراقبين صرح لهما بوجودهما فى مجلس النظار بصفة استشارية، فأعدا مشروعات كثيرة ساعدت الحكومة على تنظيم ماليتها وتسوية الديون المصرية، من ذلك تخفيض فائدة الديون، وصرف النظر عن الفوائد المتأخرة، والغاء قانون المقابلة نظير دفع ١٥٠٫٠٠٠ جنيه تعويضاً للدين دفعوا المقابلة مدة خمسين سنة، فأنقص الفرق بين الاراضى العشورية والخراجية بزيادة ضريبة الاراضى العشورية والغاء العوائد الشخصية وغير ذلك.

ولكنهما استغلا منصبيهما فبالغا فى تعيين الموظفين الأجانب وكان كل منهما عند خلو وظيفة يجتهد فى أن يعين فيها من بنى جنسه، ونشأ من ذلك أن كانت الوظائف تخلق خلقاً فى بعض الأحيان للمعادلة بين الموظفين من الفريقين. مع عدم الحاجة إليها وعلى هذا لم يبق للموظفين المصريين إلا الوظائف الصغيرة

وفى ٣ يونيو سنة ١٨٨٠ عين المسيو اوكلاند كولفين مراقباً بدلا من السير افلن بارنج

وقد ظل نظام المراقبة حتى كانت الحركة العرابية فأوقف بطبيعة الحال ، إلى أن كان الاحتلال ، فأعيدت بشكل آخر — وسيأتى ذكر ذلك فى حينه

الإصلاح المالى والإدارى :

تمت فى أوائل عهد توفيق عدة إصلاحات مالية وإدارية :

وكان أول عمل افتتح به عهده تنظيم مخصصات الأسرة الخديوية . اذ كانت مرتبات أفرادها فى عهد اسماعيل غير محدودة ولا معلومة حيث كانت الخزانة تحت تصرفه ، يأخذ منها ما شاء ، ويهب منها لمن شاء . فرأى الخديو توفيق أن يحدد هذه المرتبات ، وأخذ مجلس النظار بناء على هذا الرأى يعين هذه الرواتب فأقرها على الوجه الآتى :

جنيـــه	
١٠٠٠٠٠	للخديو
٣٥٠٠٠	لوالدة الخديو
٢٠٠٠٠	لحرمه
٣٠٠٠٠	للخديو السابق
٢٥٠٠٠	لوالدة الخديو السابق
٣٦٠٠٠	لحرم الخديو السابق الباقية فى عابدين
١٨٠٠٠	لتوحيده هانم بنت اسماعيل
١٨٠٠٠	للبرنس حسين باشا كامل
١٨٠٠٠	للبرنس حسن باشا
٣٠٠٠٠٠	المجمـــوع

ولما رفع هذا القرار الى الخديو تنازل عن ٢٠٠٠٠ جنيه من مرتبه لاضافتها الى مرتب والده . ثم أمر بالغاء المرتب الخـــاص بوالدته وحرمه ، فاقتصد بذلك خمسة وخمسين ألف جنيه . وعلى ذلك أصبحت مخصصات العائلة الخديوية ٢٤٥٠٠٠ جنيه

وكذلك تم إلغاء بعض الرسوم التى كانت تجبى عن أشياء تافهة، وكانت منافية لقواعد العدالة ، مثل ضريبة التمغة ، إلا على الذهب والفضة فأبقيت . ومثل ضريبة الدخولية (١)

---

(١) كان للمدينة حدود وكل ما دخل من هذه الحدود تؤخذ عنه رسوم . وكان الفلاحون يحتالون لدخول بعض بضائعهم خفية . ومن ذلك كانت تقع حوادث طريفة . أذكر منها أن جماعة من الفلاحين دخلوا المدينة فى جنازة فاشتبه فيهم رجال العوايد لرؤيتهم عود برسيم خارجاً من النعش فلما فتشوه وجدوا الميت عبارة عن زبدة مهربة ملفوفة بالبرسيم !

ورسوم بيع المواشى فى مصر والاسكندرية والسويس . وكذلك ألغيت السخرة وغير ذلك ، ومن أهم الاصلاحات تحديد مواعيد دفع الضرائب على حسب مواسم المحصولات ، فاستراح الفلاح وعرف كيف ينظم حياته المالية ، وبدأ يشعر أن هذه الأرض أرضه فأقبل عليها يستغلها بعد أن كان يهرب منها أيام اسماعيل

وقد صدر أيضاً قانون التصفية فى ١٧ يولية سنه ١٨٨٠ فنظمت به الديون ، ووجدت الثقة عند الدائنين ، فأقبل الأجانب على استغلال أموالهم ، مما سبب بعض الرخاء

وأكبر دليل على ذلك ارتفاع سعر الموحد ارتفاعا كبيرا بعد أن تدهور فى أواخر حكم اسماعيل إلى ٤٦ جنيهاً . وكذلك ارتفعت قيمة الأراضى الى ثلاثة أضعاف

وقد كانت ديون مصر عند إصدار قانون التصفية سنة ١٨٨٠ كما يأتى :

جنيه			
٥٧ر٧٧٦ر٣٤٠	الدين الموحد	بفائدة	٤ ٪
٢٢ر٥٨٧ر٨٨٠	« الممتاز	«	٥ ٪
٩ر٥١٢ر٩٠٠	الدائرة السنية	«	٤ ٪
٨ر٤٩٩ر٦٢٠	الدومين	«	٥ ٪
٩٨ر٢٧٦ر٦٦٠			

وكانت نتيجة ذلك كله أن ميزانية الحكومة ، بعد أن كانت لا تفى بفوائد الديون قامت بها فى عام ١٨٨٠ وزاد على ذلك مبلغ ٤ر٥٧٥ر٨٦٠ جنيهاً لمصاريف الحكومة ودفع الجزية صرفت منها ٣ر٩٠٨ر٨٦٣ جنيهاً وبقى لها ٦٦٦ر٩٩٧ جنيهاً بصفة احتياطى يصرف لسد النقص فى السنوات الآتية ، أو لاستعمالها فى الطوارىء . وهذه أول مرة زادت إيرادات الحكومة عن جميع مصروفاتها فى حكم توفيق ، مما أعاد الاطمئنان الى النفوس فى معاملة الحكومة المصرية ، فأمكنها أن تقترض مبلغاً لموازنة الميزانية بفائدة ٥و٦ ٪ بعد أن كانت تدفع ٢٨ ٪ فى سنة ١٨٧٦ .

ولم تقتصر العناية على الشئون المالية فحسب ، بل شملت شئون التعليم والرى والصحة ، فشكلت لجنة فنية تحت رياسة على باشا ابراهيم ناظر المعارف فى ٢٧ مايو سنه ١٨٨٠ لادخال عدة اصلاحات فى مناهج الدراسة ونظام المدارس ، وتقرر زيادة الميزانية المخصصة للتعليم الى الضعف

كذلك صدرت لائحة بتنظيم أعمال الرى وتوسيع نطاقها ، مما يؤدى الى زيادة دخل الأفراد والحكومة ، وروجعت القوانين المصرية . وغير ذلك من الاصلاحات

ويتضح من ذلك كله أن نظارة رياض باشا من عهد حكمها الى آخر سنة ١٨٨٠ قد قامت باعمال هامة تستحق عليها الثناء

غير أن رياض باشا كان له عيب وهو استبداده بالأمر، ولم يبق لتوفيق أى سلطة حتى فى منح الرتب والنياشين مما ضايق سموه وهمست به الحاشية
